

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّة

وَقُطُوفُ

تَفْسِيرِيَّة

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتُ عِلْمِيَّةٍ وَقُطُوفُ تَفْسِيرِيَّةٍ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في
القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تجلّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفسِّري الأمس مُعاصِرِينَ لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي: "كَانَ عَمْرُ بْنُ الْحَسَامِ يَقْرَأُ كِتَابَ الْمَجْسطِي عَلَى عَمْرِ الْأَبْهَرِيِّ فَقَالَ لَهُمَا بَعْضُ الْفُقَهَاءِ يَوْمًا: مَا الَّذِي تَقْرَأُونَهُ؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيُّ أفسر قَوْلَهُ تَعَالَى {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا} فَأَنَا أفسر كَيْفِيَّةَ بِنَائِهَا، وَلَقَدْ صَدَقَ الْأَبْهَرِيُّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ أَكْثَرَ تَوْعَلًا فِي بَحَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كَانَ أَكْثَرَ عِلْمًا بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ"^١، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م^٢، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!

وتأتي الملامح العلمية بغفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١ فصلت: ٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ النمل: ٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ الأنعام: ٦٦ و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠ يونس: ٣٩، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ. وَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص: ٨٧ و٨٨.

د. محمد دودح



^١ فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٥٤١٤).

^٢ موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.



﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا﴾ ٦ الأنعام: ٩٨.

الفقرة Paragraph

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٦ الأنعام: ٩٨.

كلمات إرشادية keywords

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، ﴿فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا﴾.

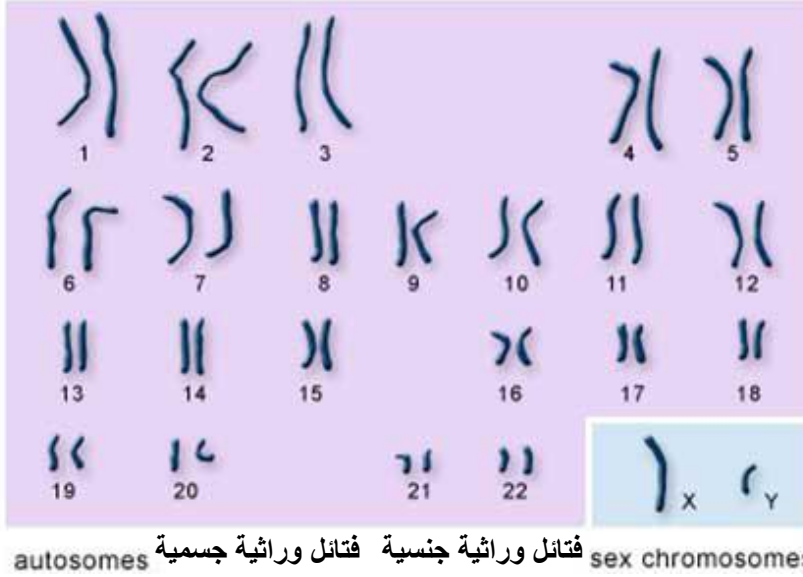
ترجمة (تفسيرية) Translation

It is He Who has created you from a undifferentiated one Body (a phenotype gender), **then** (each sex of them becomes) **a resident** (for awhile on the earth), **subsequently embedded in a depot** (the tomb to the day of recreation).



لَمَحَات بَيَانِيَّة وَعِلْمِيَّة

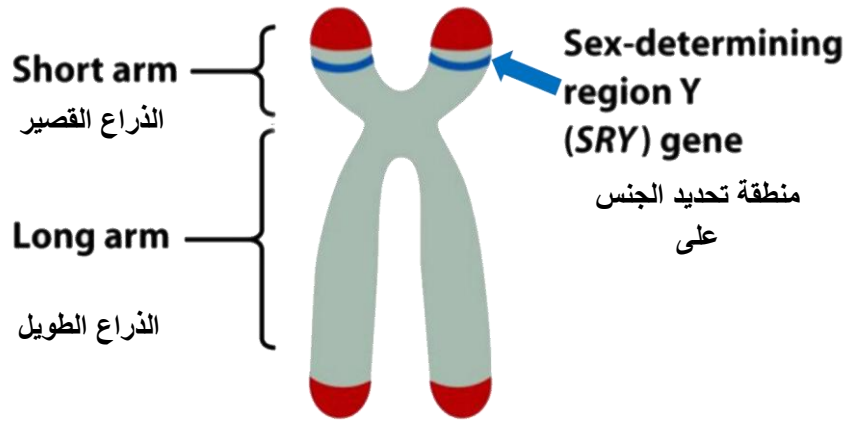
Eloquent & Scientific Hints



وتتضمن المورثات في الخريطة الوراثية جميع الخصائص الجسدية للإنسان المُقبل كطولهِ ولون بشرته وشعره؛ وهي مرتبة في سلاسل مزدوجة تكون الفتائل (الصبغيات)، وتتلاحم كل فتيلتين بحيث تتقابل كل صفتين متماثلتين من الأبوين كُلٍّ منها إما سائدة أو متنحية في أزواج مُتداخلة مُتناظرة Matched Pairs داخل نواة أول خلية للإنسان، ويصدق عليها الوصف: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا. إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ٧٦ الإنسان: ٢١، فلم يكن يُسمى إنساناً حتى تكونت البويضة المُخصبة، والوصف: (نُطْفَةٌ أَمْشَاجٍ) بليغ حيث دلّ إفراد كلمة (نُطْفَةٍ) على هيأتها وضالّتها تمثيلاً بقطرة واحدة من كمية ضئيلة من الماء تمثل المني Semen، ودل الجمع (أَمْشَاجٍ) على وصف تركيبها من أزواج مُتداخلة مُتناظرة؛ وكونها أخلاط وراثية من الأبوين وفق تعبير المُفسرين.

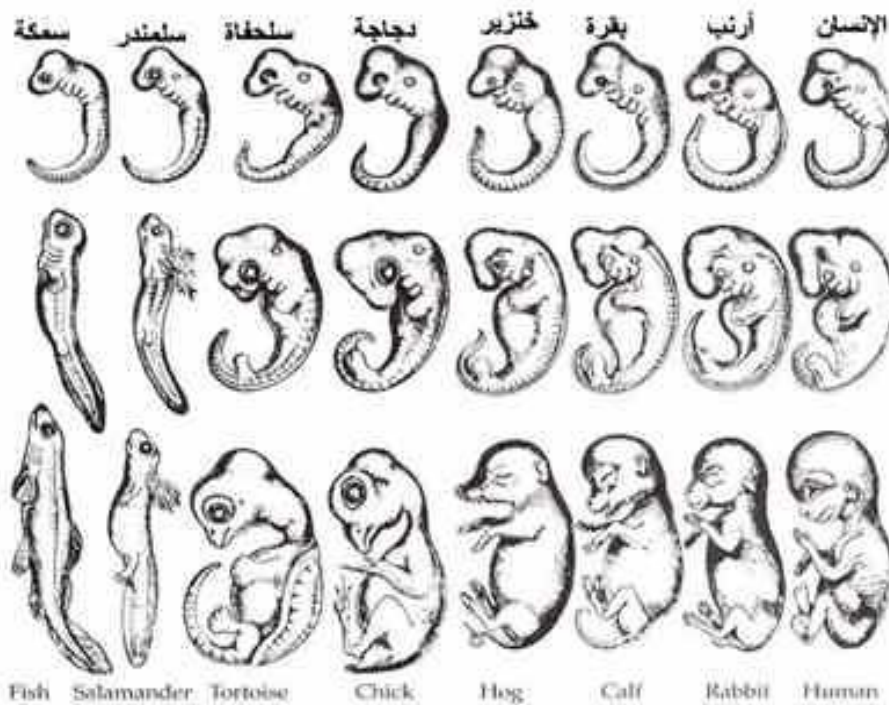


وباتحاد البويضة مع حوين منوي تنتج أول خلية بشرية تحمل ٤٤ فتيلة وراثية بدنية بالإضافة لزوج فتائل وراثية؛ إما بهينة (X Y) وبها مخطط مشروع تشكيل الذكر مستقبلاً، أو (X X) وبها مخطط تشكيل الأنثى، والمميز إذن لجنس الجنين هو المنى، وهو ظاهر النبا: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ٥٣ النجم: ٥٥ و٤٦؛ وكلمة (تُمْنَى) تخصيص بالذكر، والتعبير (نُطْفَةٍ) أي قطرة؛ فيه تشبيه للمني عديد المكونات بالماء عديد القطرات، ويؤيده النبا: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِن مَّنِي يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ٧٥ القيامة: ٣٦-٣٩، وهو أيضاً صريح الدلالة في أن المنى هو المميز للزوجين الذكر والأنثى.



Y chromosome (Y) الفتيلة الوراثة (Y)

ويقع الجين المسئول عن تحديد خصائص الذكورة على طرف الذراع القصير للفتيلة الجنسية الذكرية (Y)، وتسمى بمنطقة تحديد الجنس Sex Determining Region of Y Chromosome (SRY)، وهو جين سائد Dominant، ومهمته تحويل الغدة التناسلية في كل جانب إلى خصية تنتج هرمون الذكورة Testosterone وهرمون مثبط لقناة مولر Anti-Mullerian Hormone (AMH)، ومهمة هرمون الذكورة تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية الداخلية ومنع تطور الأتداء؛ ونتيجة لنشاط إنزيم خاص ينشأ هرمون (داي هيدرو تستوستيرون Dihydro-testosterone) أكثر فعالية من هرمون الذكورة مهمته تشكيل الأعضاء التناسلية الخارجية في الذكر، وإذا لم تنشأ الخصية يحدث العكس وتتكون الأعضاء التناسلية الأنثوية بشكل تلقائي Default Pathway وتضم قناة وولف، وينتج المبيض هرمون الأنوثة Estrogen ومهمته تكميل تطور قناة مولر والخصائص الأنثوية الثانوية مثل نضوج الثدي عند البلوغ.



وفي المراحل الجنينية الأولى للجنسين في الإنسان تكون الهيئة الخارجية واحدة؛ ومتماثلة مع أجنة الحيوانات، ومع بدء نشاط الخصية يبدأ تميز جنس الجنين الإنساني الذكر باتضح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي بعد المرحلة الجنينية Embryonic Stage التي تكتمل بنهاية ثمانية أسابيع من عمر الجنين منذ تكون البويضة المخصبة Zygote، وتتأكد الذكورة Masculinity في بداية الشهر الثالث نتيجة لإفراز هرمون الذكورة Testosterone من الخصيتين طبقاً للتعليمات المقدرة بالمورثات Genes الحاملة لبرنامج تصميم أعضاء الإنسان المُقبل وجنسه؛ وإلا تأكد التأنيث Feminization في الشهر الرابع؛ واستمر الجنين بنسق هيئة التأنيث المُفترضة ابتداءً Default mode، ومهمة هرمون الذكورة منع تطور أثناء الذكور؛ فتبقى ضامرة كبصمة تشهد بمرحلة ذات أو نفس واحدة في الجنسين.

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٧ الأعراف: ١٨٩ و ١٩٠؛ المُدهش أن يدل النص الكريم صريحاً على مرحلة جنينية كانت فيها الذات الإنسانية في الجنين (نفسٍ واحدةً)، ويُرجع تميز الزوجين الذكر والأنثى إلى فترة التخليق بالأرحام!.

والصَّادِم تفسير التعبير: (نفسٍ واحدةً)؛ بآدم وزوجه عليهما السلام فتلحقهما تهمة الشرك؛ استناداً لحديث تفسيري يَحْجُر على المعنى الصريح للآية بزعم أنهما استجابا لإيحاء الشيطان فسموا ابنهما عبد الحارث، أي عبد الشيطان، والمحققون من علماء الحديث قالوا: حديث غريب المتن موقوف وضعيف السند، فقد رواه الترمذي تفسيراً للآية وقال: "غريب"^٢، وفي ميزان الاعتدال: "حديث مُنكر"، وفي ذخيرة الحفاظ: "حديث لما حملت حواءَ كَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ لَهَا الشَّيْطَانُ سَمِيهِ عَبْدَ الْحَارِثِ فَإِنَّهُ يَعِيشُ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ.. وَهُوَ ضَعِيفٌ"^٣، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده ضعيف"^٤، وقال عبد القادر الأرنؤوط: "الحسن (أحد الرواة).. لم يسمع من سمرة؛ فالحديث ضعيف، وقد أخرجاه الحافظ ابن كثير وأعلَّه من ثلاثة وجوه؛ (الأول): أن عمر بن إبراهيم (أحد الرواة).. لا يُحتج به.. (الثاني): أنه قد روي قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً كما قال ابن جرير.. (الثالث): أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا؛ فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدلَّ عنه..، قال ابن جرير..: {جعلنا له شركاء فيما آتاهما} قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم..، قال الحسن: عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده..، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسّر الآية بذلك؛ وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حُمِلت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدلَّ عنه.. ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدلُّك على أنه موقوف على الصحابي، ويُحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب؛ من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه"^٥، وحُكِّم الألباني: "ضعيف"^٦.

والتعبير (نفسٍ واحدةً) وارد ضمن زُمرة دلالية تُشير كل القران أنها في معرض بيان دليل على التوحيد والاعتقاد في أن جنين كل إنسان كان نفس واحدة غير مُتميزة الجنس؛ ثم تميز لجنسين بعد اتضح الهيئة الإنسانية، في قوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَدَنِ خَلَقَ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) ٣٩ الزمر: ٦، يتعلق السياق ببيان سبق التقدير والاعتقاد في تمييز جنسي الإنسان في الأرحام؛ وبالمثل أجنة الأنعام؛ أي جنسي مواشي أربعة ذكوراً وإناثاً؛ هي الغنم (الضأن) والمعز والإبل والبقر، فالنفس الواحدة هي الأصل المُشترك لجنسي الإنسان وهي غير متميزة الجنس فناسبها تعبير الخلق بمعنى الإنشاء، والنفس الواحدة مؤنثة وزوجها مذكر، وإذن قد تفرَّع منها شكلاً زوجها الذكر فناسبه تعبير الجعل بمعنى التحويل، فالتشكيل الذكري إذن حدث عارض يبدأ به التمييز بين الجنسين؛ نتيجة عمليات حيوية لا يتطلبها الشكل الأنثوي.

^٢ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م (١٤٢٢).

^٤ شمس الدين أبو عبد الله قايماز الذهبي؛ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد الجاوي، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م (١٣٧٩).

^٥ أبو الفضل الشيباني المعروف بابن القيسراني؛ ذخيرة الحفاظ، تحقيق د. عبد الرحمن الفريواني، دار السلف بالرياض؛ ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م (١٤٧١).

^٦ صهيبي عبد الجبار؛ المسند الموضوعي للجامع للكتب العشرة، تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط في الحاشية؛ ٢٠١٣ (١٧٢٢).

^٧ مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير؛ جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط وتعليق أيمن صالح، مكتبة دار البيان، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م (١٤٢٢).

^٨ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الأشقودري الألباني؛ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتبة الإسلامية (ص ٦٨٧).

والنفس الإنسانية واحدة في الأصل من حيث تميز الجنس شكلاً؛ فإذا لم تتضح ذكورة الجنين في موعدها تتأكد الأثوثة، وبالإضافة إلى أن التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) يصف كياناً مؤنثاً؛ فقرائن السياق تدفع حملة على آدم عليه السلام، فالتعبير: **(يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)** يتعلق بالأجنة؛ وتفرضه الوحدة الموضوعية بياناً لموضع نشأة النفس الواحدة بلفظ **(خَلَقَكُمْ)**، والخطاب موجه لكل بالغ من الجنسين لبيان كيفية تكونه من كيان غير متميز ليصبح ذكراً أو أنثى يتزوجان ويتجبان، والجُملة الاعتراضية: **(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ)** لبيان أن القدرة المُبدعة شملت جنسي الأنعام بنفس الأَطوار، والتعبير: **(وَأَنْزَلَ لَكُمْ)** تأكيد لكون تلك المواشي في البداية نعمة نفيسة تَتَطَلَّبُ شُكْرَ الْمُنْعَمِ، قال ابن عاشور: **"(وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ).. هَذَا اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةٍ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) وَبَيْنَ (يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) لِمُنَاسِبَةِ أَزْوَاجِ الْأَنْعَامِ لِزَوْجِ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ؛ وَأَدْمَجَ فِي هَذَا الْإِسْتِدْلَالَ امْتِنَانٌ بِمَا فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ لِلنَّاسِ"**^٩.

وقوله تعالى: **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْذَةً)** ١٦ النحل: ٧٢؛ صريح في أن جعل أزواجاً ذكوراً وإناثاً من الأنفس البشرية ذاتها يؤكد التعبير: **(وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْذَةً)**، ومثله قوله تعالى: **(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ)** ٢٤ الشورى: ١١؛ صريح في أن تميز الأزواج ذكوراً وإناثاً يتم من الأنفس البشرية ذاتها، وكذلك تنشأ الأنعام أزواجاً بنفس الأَطوار، فكليهما ينشأ بنفس الآلية؛ أي في هذا الجعل، وهو مقتضى التعبير: **(يَذُرُّكُمْ فِيهِ)**، في تفسير الجلالين: **"(وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا): ذُكُورًا وَإِنَاثًا، (يَذُرُّكُمْ)..: يَخْلُقَكُمْ {فِيهِ}: فِي الْجَعْلِ الْمَذْكُورِ؛ أَي يَكْتَرِكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالُدِ، وَالضَّمِيرُ لِلنَّاسِ وَالْأَنْعَامِ"**^{١٠}.

وقوله تعالى: **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى)** ٥٣ النجم: ٥ و٤ و٦؛ صريح في بيان القدرة المُفرعة التي ميّزت الجنسين بالأرحام من نفس واحدة غير متميزة الجنس أساسها نطفة واحدة من ماء مهين لا يُعتبر، وفي قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)** ٦ الأنعام: ٩٨؛ التعقيب: **(فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)** يعني في الدنيا بعد الولادة ثم يُستودع بالقبر ليُسترد حياً للحساب، وهو يجعل تميز الجنسين مَحْصُورًا في الأرحام، وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ)** ٤ النساء: ١؛ صريح في بيان سبق التقدير والافتقار في خلق كل إنسان وتميز الجنسين رجالاً ونساءً بنفس الآلية الواحدة التي تتكرر مع كل جنين يتكون في الأرحام لتشهد بوحداية الصانع، وبالمثل تنطق النصوص بأن التميز أزواج حدث جنيني تسبقه هيئة واحدة غير متميزة الجنس: **(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ)** ٣٥ فاطر: ١١، **(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفَةٍ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى)** ٧٥ القيامة: ٣٦-٣٩.

وما أصرح قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى)** ٤٩ الحجرات: ١٣؛ في الدلالة على أن أصل أفراد الناس ذكوراً وإناثاً هو عناصر وراثية من الأبوين؛ ذكر وأنثى، فالآلية إذن واحدة تؤكد وحداية الصانع، والخطاب بالجمع: **(خَلَقْنَاكُمْ)**؛ للبالغين، أي عندما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم، والمضمون أن أصل كل منهم ذكر وأنثى بالتنكير والإبهام بلا تصريح بلفظ آدم مع وروده ٢٥ مرة تصريحاً، فتكلف حملة على آدم اجتهاداً؛ والأولى الالتزام بظاهر النص، وهو أن كل إنسان نتاج المشاركة الوراثية من الأبوين؛ بقريته بيان تكون النطفة الأمشاج أصل كل إنسان من عناصر وراثية مُناصفة من الأبوين: **(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)** ٧٦ الإنسان: ٢، قال القرطبي: **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى)** ٤٩ الحجرات: ١٣..، بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُ خَلَقَ الْخُلُقَ مِنَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.. (وقد) ذَهَبَ قَوْمٌ مِنَ الْأَوَائِلِ إِلَى أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَحْدَهُ وَيَتَرَبَّى فِي رَحِمِ الْأُمِّ وَيَسْتَمِدُّ مِنَ الدَّمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ..، وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْخُلُقَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ مَاءِ الرَّجُلِ وَالْمَرَأَةَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهَا نَصٌّ لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ"^{١١}.

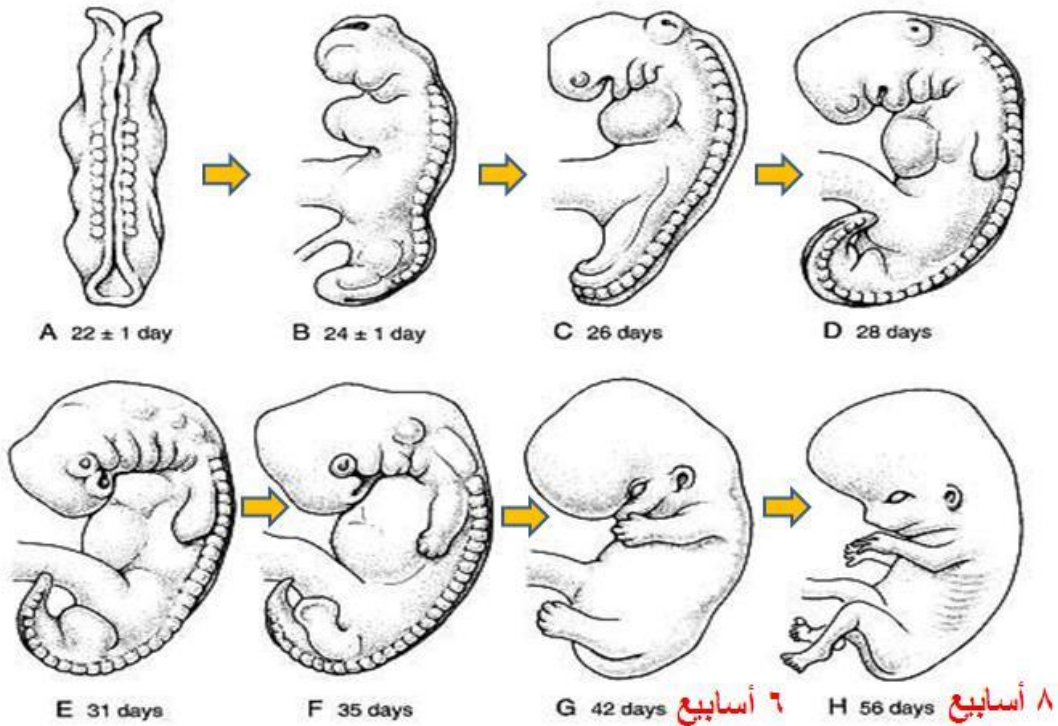
^٩ محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤ هـ (١٩٦٣/٣٣٢).

^{١٠} جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي؛ تفسير الجلالين، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى (ص٦٣٩).

^{١١} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (١١٦/٣٤١).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٩ و ١٩٠؛ حمل: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على آدم عليه السلام فيه إشكال كبير بنسبة الشرك لنبي مصطفى كريم؛ ولا يستقيم حمل المونث: (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على المُذْكَرِ آدم، وكلمة (تَغَشَّاهَا) تعبير عن التزاوج لا يجرح حياء؛ أي تغشى الذكر الأنثى، وتعكس صيغة التَّفَعُّلِ (تَغَشَّاهَا) مُجَاهَدَةً، وكل الضمائر في: (مِنْهَا، زَوْجَهَا، إِلَيْهَا، تَغَشَّاهَا) تعود إلى (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، لكن حمل النفس الواحدة على آدم يقلب الوضع بجعل الأنثى هي التي تتغشى الذكر؛ وهو معنى سقيم، وتعود الضمائر في: (دَعَوَا، رَبَّهُمَا، آتَيْنَا، آتَاهُمَا، جَعَلْنَا) إلى مُثْنَى فيفضي لمخالفة صريح النص في أن من أشرك جماعة: (فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)؛ فالْمُثْنَى إذن ضَرْبٌ مَثَلًا لِلْجَمَاعَةِ.

قال ابن كثير: "صَحَّ ضَرْبٌ مَثَلِ الْجَمَاعَةِ بِالْوَّاحِدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَبُونَكَ لِيَأْخُذُوا بِعَيْنِكَ لِيَأْتِيَهُمْ آيَاتُ اللَّهِ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأحزاب: ١٩، أي: كَدَوْرَانِ عَيْنِي الَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُ عَنْكُمْ مِنَ الْأَنْفُسِ وَاحِدَةً﴾ (٣١ لقمان: ٢٨، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِنَسٍ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (٦٢ الجمعة: ٥)، وقال أبو زهرة: "نُقِلَ عَنِ الْقِفَالِ فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَلَى سَبِيلِ ضَرْبِ الْمَثَلِ، وَالْمُرَادُ (أَنَّهُ تَعَالَى) خَلَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ وَجَعَلَ مِنْ جِنْسِهَا زَوْجَهَا إِنْسَانًا (بِساوِيهَا) فِي الْإِنْسَانِيَّةِ..، وَعَلَى هَذَا الْكَلَامِ يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ نَفْسًا وَاحِدَةً تَلْتَقِي عِنْدَهَا (شَكْلًا) كُلِّ الْأَنْفُسِ؛ (فَجَمِيعُهَا) مُتَشَابِهَةٌ مُتَشَاكِلَةٌ"^{١٣}.



ويُوجِي التعبير: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) بحالة تميزت فيها إنسانية الجنين ولم يتميز فيها جنسه بعد؛ أو بالأحرى لم تظهر عليه بعد علامة الذكورة، باعتبار أن الفعل المُتَوَقَّعُ بعد اكتساب الشكل الإنساني هو التحول لهيئة ذكر: (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)، وإيجاز التعبير اكتفاءً بذكر تمييز جنس الذكر أولاً يقتضي في المقابل تكون الجنس المونث لاحقاً، ودل عليه تأنيث ضمير: (زَوْجَهَا)، وبالفعل يكتسب الجنين الشكل الإنساني بعد مرور ستة أسابيع من عمره؛ مع تكون الهيكل العظمي والعضلي في الأسبوعين السابع والثامن، ويبدأ تمييز جنس الذكر بظهور الأعضاء الخارجية للتناسل بعد الأسبوع الثامن نتيجة لإنتاج هرمون الذكورة من الخصية، وأما المبيض فيخزن كل البويضات استعداداً لمرحلة البلوغ.

^{١٢} أبو الفداء إسماعيل بن كثير؛ تفسير بن كثير، المحقق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية؛ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م (١٨٧١).

^{١٣} محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٣٠٧٥).

والسبيل إذن لتَفَهُّم المعنى هو بحمل التعبير (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) على كيان إنساني للجنين ذو هيئة واحدة في الجنين لم يتميز جنسه بعد، ويبدأ التميز بعد تكامل اتضاح الهيئة الإنسانية، وحمل التعبير على سبيل ضرب المثل للمجموع الإنساني بكل زوجين؛ بياناً لوحدة تصميم تناسل الإنسان وكل زوجين من الحيوان؛ كبرهان للعاقل على وحدانية الصانع.



تتضح علامة الذكورة بظهور العضو التناسلي الذكري بعد انتهاء الأسبوع الثامن.

قال أبو جعفر النحاس: "روي عن عكرمه انه قال: لم يخص بهذا ادم وحواء..، والتقدير على هذا الجنس (البشري) كله؛ أي خلق كل واحد منكم {من نفس واحدة} و{جعل منها} أي من جنسها زوجها، {فلما تغشاها} على الجنس (البشري) كله، وكذا {دعوا} يراد به الجنسان الكافران، ثم حمل {فتعالى الله عما يشركون} على معنى الجميع، فهذا أولى والله أعلم من أن يُنسب إلى الأنبياء عليهم السلام مثل هذا"، و"المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجاً..، ومثله قوله جل وعز {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها}..، أي جعل من جنسها زوجها، ودل هذا على الجنسين جميعاً، ويكون الضمير في قوله تعالى {جعل له شركاء فيما آتاهما} يعود على الجنسين، والضمير في قوله: {يشركون}؛ يعود على الجنسين لأنهما جماعة"^{١٤}، و"جَعَلَا لَهُ" قيل: يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعني به الجنسين، ودل على هذا: {فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}؛ ولم يقل: يشركان، فهذا قول حسن، وقيل: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}.. من هيئة واحدة وشكل واحد، {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} أي من جنسها، {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا} يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء في الآية ذكر"^{١٥}.

وقال الثعلبي: "قال قوم من أهل العلم إن هذا راجع إلى المشركين من نرية آدم..، ويدل عليه ما روى معمر عن الحسن قال: عني بهذا من أشرك من نرية آدم ولم يكن يعني آدم، وروى قتادة عنه قال: هم اليهود والنصارى..، وقال ابن كيسان هم الكفار جعلوا لله شركاء.. وقال عكرمة لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع بني آدم..، قال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر لما في القول الأول من إصاق العظام بنبي الله آدم عليه السلام، ويدل عليه جمعه في الخطاب حيث قال {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} ثم قال {فَلَمَّا تَغَشَّاهَا}.. فلما تغشى الرجل منكم امرأته"^{١٦}.

^{١٤} أبو جعفر النحاس؛ معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى؛ ١٤٠٩هـ (٢٠٢٥).

^{١٥} أبو جعفر النحاس؛ إعراب القرآن، تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢١هـ (١٢٠٢).

^{١٦} أبو إسحاق أحمد الثعلبي؛ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي بيروت؛ ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م (٢٠١٤).



وقبل أن تُطالع عين جنس وليد؛ يسبق القرآن الكريم بتأنُّف لا يلفت عن الغرض وبأسلوب بديع مُفعم بالمضامين ويصف كيفية تميز جنس الجنين في ظلمات البطون، من ذات أو نفس واحدة غير مُتميزة الجنس شكلاً وتركيباً؛ كأصل واحد مشترك للجنسين، وتبقى الأتداء في صدور الذُّكور ضامرةً بلا غرض إرضاع كبصمة تنطق بوحدة الأصل، ولا يفوت البيان المُعجز أن يُثني على الشاكرين ويروي للنابهيين قصة الغافلين عن دلائل سبق التقدير ووحداية القدير!



قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

(١) خُلاَصَة نَفْسِيَّة:

قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله تعالى): "تجد المرأة التي لا يأتيها الولد تأتي إلى قبر الولي الفلاني..، فتقول: يا سيدي فلان أرزقني ولداً..، وفي قوله: **{فلما آتاهما}** نقد لادع أن يجعلاً في هذا الولد شريكاً.. (ولكن).. الآية وحدها دالة على أن قوله **{خلقكم من نفس واحدة}** أي من جنس واحد وليس فيها تعرض لأدم وحواء بوجه من الوجوه، ويكون السياق فيهما جارياً على الأسلوب العربي الفصيح الذي له نظير في القرآن كقوله تعالى: **{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ}**؛ أي من جنسهم، وبهذا التفسير الواضح البين يسلم الإنسان من إشكالات كثيرة، أما على القول.. بأن المراد بقوله تعالى **{من نفس واحدة}**.. آدم **{وجعل منها زوجها}** حواء؛ فيكون معنى الآية خلقكم من آدم وحواء..، وهذا التفسير منطبق على المروي عن ابن عباس رضي الله عنه، وسنبين.. وجه ضعفه وبطلانه..، وأما قوله تعالى: **{فتعالى الله عما يشركون}**؛ فجمع لأن المراد بالمشيئتين اثنان من هذا الجنس فصح أن يعود الضمير إليهما مجموعاً، كما في قوله تعالى: **{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا}**؛ ولم يقل اقتتلتا لأن الطائفتين جماعة، و(المروي) عن ابن عباس في الآية قال: (لما تغشاهما آدم حملت فاتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة؛ لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل..، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعانه فخرج ميتاً)..، ونُكر معناه عن الحسن، لكن الصحيح أن الحسن رحمه الله قال: إن المراد بالآية غير آدم وحواء، وإن المراد بها المشركون من بني آدم، كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره وقال: (أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء؛ وإنما المراد من ذلك المشركون من نريته)، وهذه القصة باطلة من وجوه؛ (الوجه الأول): أنه ليس في ذلك خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم، وهذا من الأخبار التي لا تتلقى إلا بالوحي، وقد قال ابن حزم عن هذه القصة إنها رواية خرافة مكذوبة موضوعة، (الوجه الثاني): أنه لو كانت هذه القصة في آدم وحواء؛ لكان حالهما إما أن يتوبا من الشرك أو يموتا عليه، فإن قلنا ماتا عليه كان ذلك أعظم من قول بعض الزنادقة..، فمن جوز موت أحد من الأنبياء على الشرك فقد أعظم الفرية، وإن كانا تابا من الشرك فلا يليق بحكمة الله وعدله ورحمته أن يذكر خطأهما ولا يذكر توبتهما منه، فيمتنع غاية الامتناع أن يذكر الله الخطيئة من آدم وحواء وقد تابا ولم يذكر توبتهما، والله تعالى إذا ذكر خطيئة بعض أنبيائه ورسله ذكر توبتهم منها كما في قصة آدم نفسه حين أكل من الشجرة وزوجه وتابا من ذلك، (الوجه الثالث): أن الأنبياء معصومون من الشرك باتفاق العلماء، (الوجه الرابع): أنه ثبت في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر بأكله من الشجرة وهو معصية؛ ولو وقع منه الشرك لكان اعتذاره به أقوى وأولى وأحرى، (الوجه الخامس): أن في هذه القصة أن الشيطان جاء إليهما وقال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة)، وهذا لا يقوله من يريد الإغواء وإنما يأتي بشيء يقرب قبول قوله، فإذا قال: (أنا صاحبكما الذي أخرجكما من الجنة) فسيعلمان علم اليقين أنه عدو لهما فلا يقبلان منه صرفاً ولا عدلاً، (الوجه السادس): أن في قوله في هذه القصة (لأجعلن له قرني أيل)، إما أن يصدق أن ذلك ممكن في حقه فهذا شرك في الربوبية لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله؛ أو لا يصدق فلا يمكن أن يقبل قوله وهما يعلمان أن ذلك غير ممكن في حقه، (الوجه السابع): قوله تعالى: **{فتعالى الله عما يشركون}** بضمير الجمع؛ ولو كان آدم وحواء لقال (عما يشركان)، فهذه الوجوه تدل على أن هذه القصة باطلة من أساسها وأنه لا يجوز أن يعتقد في آدم وحواء أن يقع منهما شرك بأي حال من الأحوال، والأنبياء منزهون عن الشرك مبرؤون منه باتفاق أهل العلم، وعلى هذا فيكون تفسير الآية كما أسلفنا أنها عائدة إلى بني آدم الذي أشركوا شركاً حقيقياً؛ فإن منهم مشركاً ومنهم موحداً^{١٧}.

(٢) تاريخ مجيد للمفسرين:

قال القرطبي: "قال قوم إن هذا راجع إلى جنس الأدميين، والتبيين عن حال المشركين من ذرية آدم عليه السلام، وهو الذي يعول عليه، فقله: {جعل له} يعني الذكر والأنثى الكافرين؛ ويعنى به الجنسان، ودل على هذا {فتعالى الله عما يشركون} ولم يقل: يشركان، وهذا قول حسن، وقيل المعنى {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} من هيئة واحدة وشكل واحد {وجعل منها زوجها} أي من جنسها، {فلما تغشاها} يعني الجنسين، وعلى هذا القول لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية، فإذا آتاها الولد صالحاً سليماً سويًا كما أراداه صرفاه عن الفطرة إلى الشرك فهذا فعل المشركين.. قال عكرمة: لم يخص بها آدم ولكن جعلها عامة لجميع الخلق بعد آدم، وقال الحسين بن الفضل: وهذا محبب إلى أهل النظر؛ لما في القول الأول من المضاف من العظام بنبي الله آدم^{١٨}.

وقال ابن عطية: "قال قوم إن المعنى في هذه الآية التبيين عن حال الكافرين؛ فعدد النعم التي تعم الكافرين.. وذلك أنه قال مخاطباً لجميع الناس: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها}.. فهذه نعمة تخص كل أحد.. ثم جاء قوله: {فلما تغشاها}؛ إلى آخر الآية وصفاً لحال الناس واحداً واحداً.. فإذا آتاها الله الولد صالحاً سليماً كما (أراداه) صرفاه عن الفطرة إلى الشرك.. (وقد قيل).. إن الآية.. في آدم وحواء.. قال القاضي أبو محمد: وهذا تحكم لا يساعده اللفظ.. (و) الآية.. إنما الغرض منها تعديد النعمة في الأزواج وفي تسهيل النسل والولادة.. (و) قوله {فتعالى الله عما يشركون} المراد بالضمير فيه المشركين، والمعنى في هذه الآية فلما أتى الله هذين الإنسائين صالحاً أي سليماً ذهباً به إلى الكفر.. وهي بيّنة على هذا التأويل.. وقلقة على قول من يقول إن الآية.. في آدم وحواء^{١٩}.

وقال ابن العربي: "المراد بهذا جنس الأدميين؛ فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله (كذلك).. صفة (عامة) واحدة.. إذا ثقل عليهم نذروا.. فإذا ولد لهم.. الولد جعلوا فيه لغير الله شركاء في تسميته وعمله؛ حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام ويجعله لغير الله وعلى غير دين الإسلام، وهذا القول أشبه بالحق وأقرب إلى الصدق وهو ظاهر الآية وعمومها الذي يشمل جميع منآولاتها، ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر؛ فكيف بساداتهم وأنبيائهم!"^{٢٠}.

وقال السمعاني: "جعل له شركاء فيما آتاها".. هذا في جميع بني آدم، قال عكرمة: وكان الله يخاطب به كل واحد من الخلق بقوله: {هو الذي خلقكم من نفس واحدة} يعني: خلق كل واحد.. {وجعل منها زوجها}: أي جعل من جنسها زوجها {ليسكن إليها}؛ يعني كل زوج إلى زوجته.. وهذا قول حسن في الآية^{٢١}.

وقال النيسابوري: "قوله.. {جعل} يعني آدم وحواء {له شركاء}.. (إلى) تمام القصة، وقد زيفها النقاد.. ولا قائل بإمكان نسبته إلى آدم، فعند ذلك ذكر العلماء في تأويله وجوهاً، أحدها: أن هذا مثل؛ فكأنه تعالى يقول (هو الذي خلقكم)؛ أي كل واحد منكم (من نفس واحدة) وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية يسكن أي تلك النفس، فذكر بعدما أنث.. لأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويطنن إليها.. {دعوا} أي الزوج والزوجة.. فقالا {لئن آتيتنا صالحاً} ولداً قد صلح بدنه.. نكرأ.. لأن الذكورة.. (مطلب معتاد)"^{٢٢}.

وقال محمد رشيد رضا: "القرينة على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحدة آدم قوله: (وبت منهم رجلاً كثيراً ونساء)؛ بالتكثير، وكان المناسب على هذا الوجه أن يقول: (وبت منهم جميع الرجال والنساء).. وقد أيهم الله تعالى هاهنا أمر النفس التي خلق الناس منها وجاء بها نكرة فندعها على إبهامها.. وأقول زيادة في الإيضاح: إذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحدة هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم؛ وهي أن آدم أبو البشر، وقد اختلفوا في مثل هذا التعبير من قوله تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) ١٧ الأعراف: ١٨٩، فقد ذكر الرازي في تفسيرها ثلاثة تأويلات: التأويل الأول ما ذكره عن الفقهاء، وهو أنه تعالى ذكر هذه القصة على سبيل ضرب المثل، والمراد (أنه تعالى): خلق كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وجعل من جنسها زوجها إنساناً (يساويها) في الإنسانية.. (و) ظاهر هذه الآية يأتي أن يكون المراد بالنفس

^{١٨} أبو عبد الله محمد القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية؛ ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (١٧/٣٣٩).

^{١٩} أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤٢٢هـ - ١٤٨٧ (١٢/٤٨٧).

^{٢٠} القاضي محمد أبو بكر بن العربي الأشبيلي؛ أحكام القرآن، تعليق محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (١٢/٣٥٥).

^{٢١} أبو المظفر منصور المروزي السمعاني؛ تفسير القرآن، المحقق ياسر إبراهيم وغنيم عباس غنيم، دار الوطن الرياض؛ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م (١٢/٢٤٠).

^{٢٢} نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري؛ غرائب القرآن ورجائب الفرقان، المحقق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت؛ ١٤١٦هـ - ١٣٥٩ (١٣/٣٥٩).

آدم.. لما ذكره من.. تتكبر ما بثه منها ومن (تنكير) زوجها^{٢٣}، فقوله تعالى: **"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَي: خَلَقَكُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ أَوْ (هَيْئَةٍ) وَاحِدَةٍ صَوَّرَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) سَكُونًا زَوْجِيًّا، أَي: جَعَلَ لَهَا زَوْجًا مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَا زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى..؛ كَمَا أَنَّهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ٥١ الذاريات: ٤٩..، وَنَعَلِمُ أَيْضًا كَيْفَ يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْحَامِ كُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) ٥٣ النجم: ٤٥ و٤٦، وَلَكِنَّا لَا نَدْرِي كَيْفَ أَزْدَوَجَتِ النَّفْسُ الْأُولَى بَعْدَ وَحْدَتِهَا فَكَانَتْ ذَكَرًا وَأُنْثَى..، اللَّهُ تَعَالَى (إِذْ) خَاطَبَ النَّاسَ فِي عَصْرِ النَّزِيلِ بِمَثَلِ مَا حَكَاهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ نَشْأَةِ جِنْسِهِمْ فِي كَوْنِهِ تَعَالَى خَلَقَ لَهُمْ أَزْوَاجًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ..: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠ الروم: ٢١، فَهَذَا الْمَعْنَى عَامٌّ لَا خَاصٌّ بِالْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ، عَبَّرَ النَّزِيلُ عَنْ مِيلِ الزَّوْجِ الْجِنْسِيِّ إِلَى جِنْسِهِ هُنَا.. بِالسُّكُونِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا بَلَغَ سِنَّ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ اضْطِرَابًا خَاصًّا؛ لَا يَسْكُنُ إِلَّا إِذَا افْتَرَنَ بِزَوْجٍ مِنْ جِنْسِهِ..، ذَلِكَ الْإِفْتِرَانُ.. لَا تَكْمُلُ حَيَاتُهُمَا الْجِنْسِيَّةُ الْمُنتَجَّةُ إِلَّا بِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ: **(فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ)..** الْعِشَاءُ غَطَاءُ الشَّيْءِ الَّذِي يَسْتُرُهُ مِنْ فَوْقِهِ..، **(وَتَغَشَّاهَا)** أَتَاهَا كَغَشَّيْهَا، وَيَزِيدُ مَا تُعْطِيهِ صِيغَةُ النَّفْعِ مِنْ جُهْدٍ، وَهُوَ كِنَايَةٌ نَزِيهَةٌ عَنْ آدَاءِ وَظِيْفَةِ الزَّوْجِيَّةِ، تُشِيرُ إِلَى أَنَّ مُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَأَدَبِ الشَّرِيعَةِ فِيهَا السُّتْرُ، وَلَفْظُ النَّفْسِ مُؤَنَّثٌ فَانْتَبَهَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَلَفْظُ الزَّوْجِ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَلِهَذَا ذَكَرَ هُنَا فَاعِلَ التَّغَشَّى وَأَنْتَ مَفْعُولُهُ، أَيِ فَلَمَّا تَغَشَّى الزَّوْجُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الزَّوْجَ الَّتِي هِيَ الْأُنْثَى **(حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا)** أَيِ عَلِقَتْ مِنْهُ وَهُوَ الْحَبْلُ..، **(فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا)** أَي: فَلَمَّا أَعْطَاهُمَا وَلَدًا صَالِحًا لَا نَقْصَ فِي خَلْقِهِ وَلَا فَسَادَ فِي تَرْكِيْبِهِ؛ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِي إِعْطَانِهِ أَوْ فِيمَا أَعْطَاهُ..، **(فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)** أَي: تَعَالَى شَأْنُهُ عَنْ شِرْكِهِمْ..؛ وَجَمَعَ الضَّمِيرَ هُنَا بَعْدَ تَثْنِيَّتِهِ الْأَفْعَالَ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ فِيهِ بِالزَّوْجَيْنِ الْجِنْسَ لَا فَرْدَيْنِ مُعَيَّنَيْنِ..، وَالْآيَةُ.. بَيَانٌ لِحَالِ الْبَشَرِ فِيمَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّرِكِ..، الْمُرَادُ (إِذْ) بِالزَّوْجَيْنِ جِنْسِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لَا يَفْصَدُ فِيهِ إِلَى مُعَيَّنٍ، وَكَانَ الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ: خَلَقَكُمْ جِنْسًا وَاحِدًا وَجَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ مِنْكُمْ أَيْضًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهِنَّ، فَلَمَّا تَغَشَّى الْجِنْسُ الَّذِي هُوَ الذَّكَرُ الْجِنْسَ الْآخَرَ (أَشْرَكَا تَغْلِيْبًا)..؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) ١٩ مريم: ٦٦، (قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ٨٠ عبس: ١٧، (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفِي خُسْرٍ) ١٠٣ العصر: ٢، وَأَمَّا الْإِشْكَالُ.. فَهُوَ مَا رُوِيَ.. مِنْ أَنَّ الْآيَةَ فِي آدَمَ وَحَوَاءَ..، لِأَنَّ فِيهِ طَعْنًا صَرِيحًا فِي آدَمَ وَحَوَاءَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَرَمِيًا لَهُمَا بِالشَّرِكِ، وَلِذَلِكَ رَفَضَهَا بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ، وَتَكَفَّفَ آخَرُونَ فِي تَأْوِيلِهَا بِمَا تُنْكَرُهُ اللُّغَةُ..، وَإِنَّمَا الَّذِي يَصِحُّ أَنْ يُذَكَرَ وَيُبَيَّنَّ بَطْلَانَهُ، فَهُوَ الرِّوَايَاتُ الَّتِي انْخَدَعَ بِهَا وَلَا يَزَالُ يَنْخَدِعُ بِهَا الْكَثِيرُونَ، وَعَمَدَتْنَا فِي تَمْحِصِهَا وَبَيَانِ عِلْلِهَا الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فَقَدْ قَالَ فِي تَفْسِيرِهِ.. (لِلنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ زَوْجِهَا): (عَنَى بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ).. وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حَمَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ..، لَيْسَ الْمُرَادُ (إِذْ) مِنْ هَذَا السِّبَاقِ آدَمَ وَحَوَاءَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ: **(فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)**^{٢٤}، "أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤ النساء: ١؛ فَمَعْنَاهُ..** يَظْهَرُ.. بِحَمْلِ النَّفْسِ عَلَى الْجِنْسِ وَإِعَادَةِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ؛ بِمَعْنَى أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ..، ثُمَّ خَلَقَ لَهَا زَوْجَهَا مِنْ جِنْسِهَا، وَمَعْنَاهُ الْمُرَادُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ لِتِلْكَ النَّفْسِ الَّتِي هِيَ آدَمُ زَوْجًا مِنْهَا وَهِيَ حَوَاءُ، قَالُوا: إِنَّهُ خَلَقَهَا مِنْ ضِلْعِهِ الْأَيْسَرِ وَهُوَ نَائِمٌ؛ وَذَلِكَ مَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ قَارِي الْقُرْآنِ، وَهُنَاكَ قَوْلٌ آخَرٌ.. أَنَّ مَعْنَى (خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) خَلَقَهُ مِنْ جِنْسِهَا فَكَانَ مِثْلَهَا (فِي الطَّبِيعَةِ)، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) ٣٠ الروم: ٢١، وَقَوْلُهُ: (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) ١٦ النحل: ٧٢؛ وَقَوْلُهُ: (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهَا) ٢٤ الشورى: ١١؛ وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ٩ التوبة: ١٢٨، وَقَوْلُهُ: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) ٣ آل عمران: ١٦٤..، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ عِبَارَةِ الْآيَةِ الَّتِي نَفَسَرْنَا وَعِبَارَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ؛ فَالْمَعْنَى فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ، وَمَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّ حَوَاءَ خَلَقَتْ مِنْ ضِلْعِ آدَمَ فَهُوَ غَيْرُ مُلْجَأٍ إِلَى الْإِصَاقِ ذَلِكَ بِالْآيَةِ وَجَعَلَهُ تَفْسِيرًا لَهَا وَإِخْرَاجًا عَنْ أُسْلُوبِ امْتِثَالِهَا مِنَ الْآيَاتِ، هَذَا وَإِنْ فِي (النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ) وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنَّهَا الْأُنْثَى؛ وَلِذَلِكَ أَنَّهَا حَيْثُ وَرَدَتْ، وَذَكَرَ زَوْجَهَا الَّذِي خُلِقَ مِنْهَا.. فَقَالَ: **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا********

^{٢٣} محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٤/٢٦٥).

^{٢٤} محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٩/٤٣١).

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ١٧ الأعراف: ١٨٩، وَخَلَقَ زَوْجَهَا مِنْهَا عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهَا ذَاتِهَا وَأَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِهَا (البشري)..، أفرادها زوجين..، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ أَنْشَأَهَا وَابْتَدَأَهَا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..، (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ) ٤ النساء: ١؛ أَقُولُ: وَفِيهِ اِكْتِفَاءٌ؛ أَي: وَنِسَاءً كَثِيرًا..، نَكَرَ (رِجَالًا)؛ (وَنِسَاءً) وَأَكَّدَ هَذَا بِقَوْلِهِ: (كَثِيرًا)؛ إِشَارَةً إِلَى.. أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ: (مِنْهُمَا) آدَمَ وَحَوَاءَ بَلْ كُلُّ زَوْجَيْنِ..، يَقُولُ: إِنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَهَذَا إِجْمَالٌ فَصَّلَهُ بَيِّنًا كَوْنَهُ خَلَقَ مِنْ جِنْسٍ تِلْكَ النَّفْسِ زَوْجًا لَهَا وَجَعَلَ النَّسْلَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ كِلَيْهِمَا؛ فَجَمِيعُ سُلَالِئِ الْبَشَرِ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ زَوْجَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..، وورد التعبير عن جعل الزوج من النفس الواحدة بلفظ: ثم؛ لإفادة) الترتيب...: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) ٣٩ الزمر: ٦..، فَكَوْنُهُمْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ لَا يُنَافِي كَوْنَ هَذَا الْجِنْسِ (البشري) خَلَقَ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى..، وَأَيْضًا فَلَمَّا ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ كَانَ قَادِرًا أَيْضًا عَلَى خَلْقِ حَوَاءَ مِنَ التُّرَابِ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي خَلْقِهَا مِنْ ضَلْعٍ مِنْ أَضْلَاعِ آدَمَ! ٢٠.

وقال أبو زهرة: " (يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ).. عموم الخطاب لمن يعقلون..، فكلمة الناس تشمل كل بني الإنسان..، فهو يثبت أن الأصل هو (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) كلهم يرجعون إليها..، وهذا النص يشبه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩ الحجرات: ١٣، بيد أن النص الذي نتحدث عنه يثبت أن الذكر والأنثى من طبيعة واحدة..، نبههم سبحانه وتعالى إلى.. وحدة التكوين الإنساني، فالكل ينتهي إلى نفس واحدة هي الجنس العام الجامع..؛ صنوانًا مُفرعة من أرومة واحدة..، وقد ذكر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ١٧ الأعراف: ١٨٩..، والمراد خَلَقَ كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وَجَعَلَ من جنسها زوجها إنسانا يساويها في الإنسانية..، وإن كثيرين من المفسرين قالوا إن المراد من جنسها أي من طبيعتها..، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠ الروم: ٢١، ومثل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْصَةً﴾ ١٦ النحل: ٧٢، وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهَا﴾ ٤٢ الشورى: ١١..، يدل (هذا) الكلام على أن طبيعة المرأة من طبيعة الرجل" ٢١.

وقال سيد قطب: " (نَفْسٍ وَاحِدَةٍ): ذات طبيعة واحدة، وذات خصائص واحدة؛ خصائص تميزها عن بقية الخلائق، كما أنها تجمع كل أفرادها في إطار تلك الخصائص، فالنفس الإنسانية واحدة في جميع الملايين المنبثين في الأرض في جميع الأجيال وفي جميع البقاع؛ وزوجها كذلك منها، فالمرأة تلتقي مع الرجل في عموم الخصائص البشرية رغم كل اختلاف في تفصيلات هذه الخصائص؛ مما يشي بوحدة التصميم الأساسي لهذا الكائن البشري: الذكر والأنثى، ووحدة الإرادة المبدعة لهذه النفس الواحدة بشقيها، وعند الإشارة إلى خاصية الزوجية في النفس البشرية ترد الإشارة إلى هذه الخاصية في الأنعام كذلك؛ مما يشي بوحدة القاعدة في الأحياء جميعا: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) ٣٩ الزمر: ٦، والأنعام الثمانية.. هي الضأن والمعز والبقر والإبل؛ من كل: ذكر وأنثى..، فهي ثمانية في مجموعها..، والتعبير يُعبر عن.. وحدة خاصية الزوجية في الناس والأنعام.. (ويبين نشأتها خلال) مراحل الخلق للأجنة في بطون أمهاتها: (يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ)؛ من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى الخلق الواضح فيه عنصر البشرية" ٢٢؛ وكلها مراحل تسبق اتضح جنس الجنين؛ أهو ذكر أم أنثى.



^{٢٥} محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٤ / ٢٧٠).

^{٢٦} محمد بن أحمد أبو زهرة؛ زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (١٣ / ١٥٧٣).

^{٢٧} سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي؛ في ظلال القرآن، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة السابعة عشر؛ ١٤١٢هـ (١٥ / ٣٠٣٩).

الحقل العلمي Scientific Field

Embryology

علم الأجنة

الموضوع Subject

Embryo Sex Differentiation

تمييز جنين الجنين

نصوص متعلّقة Related Texts

- ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ٣٩ الزمر: ٦.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ ١٦ النحل: ٧٢.
- ﴿فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ﴾ ٢ الشورى: ١١.
- ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ ٥٣ النجم: ٤٥ و٤٦.
- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ ٦ الأنعام: ٩٨.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ ٤ النساء: ١.
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ﴾ ٣٥ فاطر: ١١.
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ ٧٥ القيامة: ٣٦-٣٩.
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ٤٩ الحجرات: ١٣،
- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ١٧٦ الإنسان: ٢.
- ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَادٍ﴾ ٣٣ الأحزاب: ١٩.
- ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كُنُفُسٍ وَاحِدَةً﴾ ٣١ لقمان: ٢٨.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ٦٢ الجمعة: ٥.
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ٣٠ الروم: ٢١.
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ ١٦ النحل: ٧٢.
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ الذاريات: ٤٩.
- ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ١٩ مريم: ٦٦.
- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ٣ آل عمران: ١٦٤.
- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ٩ التوبة: ١٢٨.
- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ٨٠ عبس: ١٧.
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ١٠٣ العصر: ٢.
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَتَقَلَّتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لِنُنْ أَنْتَيْنَا صَالِحًا لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٧ الأعراف: ١٨٩ و١٩٠.

